

التبيان في تفسير القرآن

(225) قوله تعالى: لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لا تتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بـ [أ] لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم و [ب] يعلم إنهم لكاذبون (43) آية. هذه الآية في قوم تخلفوا عن النبي (صلى الله عليه وآله) ولم يخرجوا معه إلى غزوة تبوك. وحسن الكناية عنهم وإن لم يجر لهم ذكر لكونهم داخلين في جملة الذين أمروا بالخروج مع النبي (صلى الله عليه وآله) إلى الجهاد وأن ينفروا معه. والمعنى لو كان المدعو إليه عرضا قريبا من الغنيمة وما يطمع فيه من المال " وسفرا قاصدا " معناه سفرا سهلا باقتصاده من غير طول في آخره. وسمي العدل قصداً، لأنه مما ينبغي أن يقصد " لاتبعوك " يعني خرجوا معك وبادروا إلى اتباعك " ولكن بعدت عليهم الشقة " أي بعدت عليهم المسافة، لانهم دعوا إلى الخروج إلى تبوك ناحية الشام، فالشقة القطعة من الأرض التي يشق ركوبها على صاحبها لبعدها. ويحتمل أن يكون من الشق ويحتمل أن يكون من المشقة. والشقة السفر والمشاقة. وقريش يضمون الشين، وقيس يكسرونها. وقريش يضمون العين من (بعدت). وقوله " وسيحلفون بـ [أ] لو استطعنا لخرجنا معكم " اخبار منه تعالى أن هؤلاء الذين ذكرهم يحلفون ويقسمون على وجه الاعتذار اليك ويقولون فيما بعد " لو استطعنا لخرجنا معكم " أي لو قدرنا وتمكنا من الخروج لخرجنا معكم ثم أخبر تعالى أنهم " يهلكون أنفسهم " بذلك وأخبر تعالى أنه يعلم أنهم يكذبون في هذا الخبر الذي أقسموا عليه. وفي الآية دلالة على أن الاستطاعة قبل الفعل لانهم لا يخلون من أحد أمرين: إما أن يكونوا مستطيعين من الخروج وقادرين عليه ولم يخرجوا أو لم يكونوا قادرين عليه وإنما حلفوا أنهم لو قدروا في المستقبل